

جماليات الاشتغال السردى في الرواية السيرية

رواية سيرة بني صالح لـ (خليل الجيزاوي) نموذجاً

عبد الحكيم المالكي

المعهد العالي للمهن الشاملة "مصراة" - ليبيا

1.1 مقدمة

تحكي رواية "سيرة بني صالح" ما يكاد يكون (سيرة شبه ذاتية) لكتابتها "خليل الجيزاوي"، حيث نجد ضمن هذه الرواية عديد المؤشرات التي تحيلنا لكون مادة حكايتها هي سيرة عائلة الكاتب.

لعل ما شدنا لهذا النص هو كم التقنيات السردية المستخدمة التي حولت العمل من مجرد حكاية أسرة ما في قرية ما؛ ليصبح نصاً به كم كبير من شحنات عاطفية، وأفكار ورؤى مختلفة، قدمت دون أن نشعر بأي خلل في الشروط السردية، أي دون وقوع الكاتب في الظهور المباشر الفج، أو الوقوع في فخ التنظير، الذي طالما وقع فيه كتاب السرد المستند على السيرة.

2.1 حكاية الرواية

تحكي الرواية قصة عائلة مصرية تعيش في أحد القرى على النيل، قدم لنا الراوي حكاية الرواية غير مرتبة حسب ترتيب الحكاية الأصلية، ولكن بإعادة تصور للحكاية بسيط نجد الترتيب الأصلي لحكاية الرواية، حيث تتناول قصة الجد "خليل": حياته ثم مرضه وموته، ثم الجدة "عز" وتنظيمها للقرية وشخصيتها القوية، ثم الأم التي تعد علاقة الشخصية المركزية بها خاصة جداً، إضافة إلى قصة الأب وموته، ثم رحلة الأم للحج، نتعرف أيضاً على الأخ إبراهيم المقيم في القرية، ثم الأخت "صباح"، وتشابه صورتها مع أبنته أمنية، وقصة مرض صباح ووفاتها فيما بعد، ثم نتابع شخصية ابنه محمد ونظل طول النص نتابع علاقته المستمرة بكل الغائبين، مما جعل الراوي وهو يستشرف المستقبل، يضعنا باستمرار في الأشواق للماضي المحبب والجميل، كما يمارس البكاء على الغائبين من الأحبة، ولعل ما جعل ذلك يبدو حقيقياً وحياءً، سرد الزيارات المستمرة للقرية نهاية الأسبوع والارتباط روحياً بها وبالأهل هناك.

كان حاضراً ضمن السرد أيضاً جزءاً من حياة الشخصية في القاهرة ورفاقه الذين سافروا ومعاناة السفر للخارج، كما تتابع طبيعة الصراع الحاصل في القاهرة، كذلك قصة عمله موظفاً في أحد المصالح وهي تقدم صورة عن طبيعة الواقع في تلك المصالح الحكومية.

1.2 السرد التواتري

كان السرد التواتري أحد أهم عناصر قوة خطاب هذه الرواية، وكما هو معروف فإن السرد التواتري ينقسم لنوعين رئيسيين هما: (أ) حدث واحد يتكرر سرده عدة مرات، (ب) حدث متكرر يذكر مرة واحدة أو عدة مرات مع إهمال باقي المكونات وهما مكونين لا يهمننا هنا توظيفهما وهم حدث متكرر يتكرر ذكره وحدث مفرد يذكر مرة واحدة. كلا النوعين موجود في خطاب هذه الرواية، وإن كان النوع الثاني هو النوع الأكثر استخداماً، لتتابع هنا مدخل الرواية، وندقق كيف كانت كل تلك الأفعال والممارسات التي سردت متكررة، أو بلغة السرديات (متواترة).

ما يزيد من تنوع الاشتغال التواتري هو مسألة مدة النقلة السردية التي تضمنها الحدث المتواتر، وهنا نحن نتحدث عن النوع الثاني؛ وهو عند حدوث حدث متكرر يذكر لمرة أو مرات، حيث من الممكن أن يكون هذا التكرار لزمان قصير، أو لزمان طويل. أولاً. السرد التواتري المفتوح لحدث متكرر

المقطع التالي يظهر عصرية أحد أيام القرية، حيث أذن المؤذن لصلاة العصر والفلاحون يستعدون للصلاة، الراوي نجح عبر هذه اللقطة العامة البانورامية في تقديم القرية وأهلها زمن الجدة:

"(أ) تنكسر وقدة الشمس تهب نسمة العصاري، تتمايل معها شواشي الشجر(ب) حين يصير الظل طول الرجل تماماً ساعتها يبدأ الشيخ حمزة في صعود درجات سلم الجامع الخشبية المتأكلة، (ج) تراه الآن يشرب برقيته الطويلة يضع طرف سبابة اليمنى في أذنه، وكف اليسرى على جانب فمه وأسفل أذنه ينادى بأذان العصر (د) (يتردد الصوت الناعم الممطوط) في الفضاء الواسع ينادى على الصلاة. (هـ) تنقلت الرجال النائمة تحت ذكر التوت، المتعبة من أذان الفجر بحصاد القمح: نعم، حاضر يا شيخ حمزة سمعنا والله!"¹

السرد بدأ في (أ) من خلال صورة بانورامية لفضاء القرية، ثم في (ب) يظهر السرد وقت صلاة العصر، تم استخدام الترهين² في المقطع نفسه (وهو ما يعني

¹ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، مؤسسة سندباد للنشر والإعلام، القاهرة، ط.1، 2011

ترابط حدوث حدث بحدث آخر أو بأي من مكونات الحكاية) حيث ربط الراوي كما نرى في صيرورة الظل طول الرجل تماماً وبين بدأ الشيخ حمزة في صعود درجات سلم الجامع لأذان صلاة العصر، ثم يبدأ التواتري في (ج) حيث نجدنا في صورة تواترية من خلال كلمة (تراه الآن يشرب برقبته) التي تعكس تواتر حصول هذا الأمر سابقاً ومعرفة الشخصية الذي يعبر بلفظة (تراه) عن معرفته السابقة.

تستمر الصورة التواترية حيث الراوي يصف وضع الشيخ حمزة وهو يؤذن، ثم يستخدم الاشتغال على الحواس، أو ما يعرف لدى البعض بتراسل الحواس، ليجسم ذلك الصوت كما في (د) بصورة شبه لمسية (فهو ناعم ممطوط)، يستمر السرد بنفس الطريقة حتى نهاية هذا المقطع في (هـ) حيث يعكس من خلال الصورة السردية موقف الرجال واستجاباتهم للأذان مشوبة بإرهاقهم. يبدأ المقطع التالي على نفس الحيلة السردية التي تعكس تواتر الفعل الذي يليها لنتابع هنا هذا المقطع ونركز على القسم (أ) فيه وهو يحتوي نفس الجملة الدالة على الوعي بالمتحقق دائماً من أفعال أهل القرية:

(أ) دقائق ترى العافية تدب في الأجساد المتعبة (ب) ترى الواحد منهم، يقف، يطوح يديه في الهواء عالياً يهز رأسه يطرد الكسل، النعاس العالق بعينية ينظر يمناً ويسرة، الطريق يبدو خالياً من البنات والنساء يطمئن يجلس على حافة التربة يسحب قميصه المعروق الملبوس على اللحم، يقفز سريعاً في الماء يكتم انفاسه يغوص في المياه العميقة يجذف بذراعه يسبح يضرب الماء بكلتا يديه ينظر إلى ذكر التوت والمصلية التي تتعد شيئاً فشيئاً يغطس في الماء سابحاً مرة أخرى في اتجاه المصلية يضرب الماء بيديه ورجليه يضرب الكسل والوخم يجدد عافيته ينشط يديه يستعيد قوته.

(ج) يقف على حجارة المصلية يدعك إبطيه بيديه تحت الماء، ما بين فخديه أصابع قدميه يستنشق حفته أخرى ماء، يطردها بصوت عالٍ، يتناول حفنة أخرى بفمه، يدعك أسنانه، يتممض يغطس مرة أخيرة في الماء يصعد بسرعة يجذب لباسه الطويل المزهر، قميصه الأبيض المغسول الصدير بالجلباب السموكن يصلي ركعات السنة يكتمل وقوف الرجال، بأمرهم بتسوية الصف، تقام الصلاة.³

² الترهين هو عملية السرد الذي يتم فيه ربط عنصر من عناصر القصة الأربعة (حدث، شخصية، زمان، مكان) بعنصر آخر بحيث يتحقق عبر هذا الربط إبراز للجملة السردية ويصبح فعلها أكثر قوة على المرء له، للمزيد راجع:

عبد الحكيم المالكي، السرديات والسرد اللببي، المجلد الأول من سلسلة الدراسات السردية، الكتاب الأول، جامعة مصراتة، ط. 1، 2013، ص: 50-55.

³ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 7.

كما رأينا في المقطع (أ) نحن مع التواتري من السرد، بينما نجدنا في (ب) مع تواتري يعكس قيمة أخلاقية حيث رجال القرية حريصون على الانتباه لمدى فراغ شط النهر من النسوة تمهيداً للاغتسال السريع فيه. يستمر في المقطع (ج) السرد التواتري لكن من خلال أفعال هي ذاتها قد تكون متكررة ضمن نفس الحالة المتواترة، ومن أمثلة ذلك: (يغطس مرة أخرى).

يستمر السرد متواتراً حيث الراوي يقدم مجتمع القرية في إحدى أمسياته إلى أن يكسر هذا السرد التواتري دخول أول حوار كما يلي:

"يحتد كلام عبدالمك، يثور

-بلا حق حراسة بلا زفت."4

أول حوار وأول كسر للسرد التواتري من خلال بداية الإعلان عن بنية الصراع، وهو الصراع الرئيس في هذا الفصل، وينتهي بنصر الجدة على عبد الملك المحقق. سنجد السرد التواتري حاضراً من جديد في الفصل الأول، حيث الراوي يصور خروج الجدة الليلي المتواتر كل ليلة لمتابعة وضع الحصاد، هنا نجد البداية عبر تصوير حركة الجدة وهي منطلقة من عين حفيدها خليل، ثم يبدأ السرد التواتري لنتابع المقطع التالي:

" (أ) تخرج تضرب الأرض بقدميها تزيح ما يعترضها من حجارة و أشواك بالنبوت المشمشى يجرى أمامها عنتر بجرمه الهائل وذيله الطويل وكأنه يفتح لها الطريق ويوسع السكة (ب) تبدأ رحلة المرور المسائية تتفقد الزراعات ومرابط البهايم تهز رأسها تطمئن الجميع، كل شيء في أمان حتى الصباح، (ج) أتذكر يهزم الزمن الفتى جدي يتوعك لم يستطع أن يقوم برحلة الحراسة اليومية، تقترح جدتي أن تلبس ملابسه تقوم برحلة الحراسة يبكي جدي صامتاً رحيل أولاده الذكور في حياته (جمعة - حميدة - إبراهيم) خوفاً على أمي - ابنته الوحيدة - من بطش الأيام يبكي على ليله الذي بدأ قاسياً وموحشاً يضرب ظهره بلا هوادة ينهش عظامه يقعده على فراشه يتكى جدي على النبوت بعمره السبعيني يقف في حضرة الله يصلي فرانضه، (د) وليلة بعد ليلة لم يقو على الوقوف فصلي في فراشة جالساً كنت أرى عيناه تمتلنان بالدمع ينظر إلي بدهشة(هـ) - قبل الصلاة - يقبلني قائلاً:

ربنا يطرح البركة فيك، لا تترك جدتك، نم مكاني معها فإني على سفر طويل!

4 خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:8.

لا أعرف لماذا أحست بالخوف، ألقيت بنفسي في حضنه أخذت أقبله كثيراً كثيراً، أراه الآن يمسح على رأسي عطوفاً حانياً، لم يدخل في الصلاة يسجد لله طويلاً طويلاً، في السجدة الأخيرة وقبل التشهد يلبي نداء ربه!"⁵

في الجزء (أ) من المقطع نتابع صورة لما تقوم به الجدة، في (ب) يعلن الراوي عن تواترية السرد من خلال جملة (تبدأ رحلة المرور المسائية) ليضعنا الراوي في تفاصيل تلك الجولة، في (ج) يتم كسر تواترية السرد، من خلال تذكر سبب خروج الجدة عند مرض الجد، ويستمر السرد في هذا المقطع متناوباً بين السرد العادي والسرد التواتري لنتابع في (د) دخول التواتري بشكل خاص إذ لا نكاد ندرك هل هو سرد تواتري أو تلخيص لزمان طويل في سطرين، سيوقف السرد التواتري في (هـ) من خلال الكلمات الأخيرة التي يقولها الجد لخليل.

إننا أمام السرد التواتري ممتزجاً مع السرد العادي كليهما لغرض وضعنا في واقع القرية والحياة فيها، كان المقطع الأول الذي يرسم بداية الرواية أداة لوضع المروي له في مقطع حقيقي من مقاطع حياة أهل القرية، وذلك بسرد الأشياء والأحداث متواترة ليشر القارئ بحضور ذلك الزمن ممثلاً بالأحداث، وهو ما يحققه التواتري غالباً، إذ يقدم شعوراً بان المدى الذي يغطيه السرد المتواتر حاضر والشعور به أكبر.

في مقطع آخر سنجد فعل متواتر من نوع آخر، حيث هذا الحدث متكرر ويعكس البكاء المستمر الذي يعيشه خليل وهو يتذكر كل أهله لنتابع هنا هذا المقطع الصغير المتكرر، "تسبح العينان في الضبابة الدمعية"⁶ سيتكرر هذا التعبير بنفس الطريقة عديد المرات، وفي بعض الأحيان يتكرر بألفاظ مختلفة قليلاً، وفي كل المرات نراه يعبر عن وجع الفراق التي تعيشه الشخصية، مع الدموع التي تزي الشوق للأحبة الغائبين. بينما هنا نجد المقطع التالي مسيرة الجدة وخطها المتواتر الذي تحافظ عليها:

"(أ) تدخله جدتي وهي تسير على ترعة "أبو العزم" (ب) تتفقد حوض ربح البحر، ديوة العريضة، حوض القبل، غيط مسهلة، الوصلات، (ج) تعود من على مصرف عبد العال، (د) رحلتها تأخذ ساعة لا تنقص ولا تزيد، (هـ) تعود للدار الكبيرة، تجلس أمام رابية النار، تنظر إلى السماء الصافية البعيدة تكلم النجوم"⁷ المقطع التالي يوضح لنا الجولة الليلية للجدة، تبدأها في (أ)، ثم في (ب) تبدأ في ممارسة أشياء متكررة تنضم كلها تحت فعل التفتق، ثم تجد العودة في (ج) ثم في

⁵ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 10-11.

⁶ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 9.

⁷ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 12.

(د) نجد السرد التواتري مصحوباً بالتأطير الزمني (ساعة لا تنقص ولا تزيد)، ثم في (هـ)، نتابع عودتها للبيت، كل ذلك في إطار سرد متواتر لأفعال متكررة يومياً. ظلل السرد التواتري مستمر في الفصل الثاني المعنون بالجد، فهو يسم غالب ملامح السرد، خاصة والراوي في هذه المرحلة، لازل يرسم عالم أهل القرية، كما يرسم عالم الشخصية "خليل"، نتابع بداية الفصل من خلال صورة لوقت المغرب، الجميل هنا، أن التعبير عن الوقت كان يتم من خلال صور طبيعية، وليس من خلال ساعة محددة، وهو ما يعكس وعي وثقافة القرية في ذهن الشخصية التي يستعير الراوي وعبها، وهي شخصية "خليل" لنتابع المقطع التالي:

"(أ) ثم نزل حجارة المصلية ناويا الموضوع استعدادا لصلاة المغرب، (ب) حين أسلمت الشمس خدها لشط الماء، (ج) لعبت نسمة الهواء مع الموجة الصغيرة في نصف الدائرة الحمراء، علا الموج شيئا فشيئا وغابت مع بقايا قرص الشمس"⁸. نلاحظ في المقطع السابق صورة شبيهة متكررة ليوم عادي من الأيام التي كان فيها الجد حياً يدعم الراوي حضور هذه الصور عبر ظلل التواتر، كما يجعلها أكثر تميزاً عبر الصور التي تعكس الثقافة الشعبية كما في (ب)، حيث تصور الشمس وقد أسلمت خدها للماء، ما يميز أيضاً هذه الصورة كون الأحداث فيها مرتبطة بعضها البعض، أي إنها تحقق ما يعرف بترهين حدوث حدث لآخر، والأمر نفسه مع الحدث في (ج) فهو مرتبط حسب صيغة السرد مع (أ) و(ب)، كما نلاحظ في (ج) حالة التجسيم للصورة الحواسية، فالدائرة الحمراء التي هي نتاج لصورة قرص الشمس تختلط مع الهواء الذي هو غالباً ذي بعد لمسي، مع الموج الذي هو غالباً منظور وملموس.

ويمضي السرد من خلال تقديم الراوي للسرد من إطار مجموعة، فهو يتحدث عن جمع الأطفال فيقول "تسابقنا إليه بعد أن ركلنا كرة الشراب"، يمضي السرد بنفس الوتيرة معبراً عن فعل المجموعة من الأطفال، يؤكد ذلك الأفعال التي يفعلونها وهي (نلتمس، نبلل، ننزل، نسبح، ليفيض فينا) أنه كله سرد يعبر عن المجموعة، ونجد التواتري من خلال سرد العادات في المقطع التالي "في الليل والقمر بديراً، تكون حلقة اللعب عندنا إما في البيت في "الوسعاية"..."⁹.

⁸ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 15.

⁹ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 15.

ثانياً. السرد شبه التواتري (بتواتر حدوث حدث ما، من قبل عدة أشخاص) من يركز جيداً على المقطع الأول في الفصل الأول والمقطع الأول في الفصل الثاني، يلحظ أن هناك تكراراً حصل في أفعال محددة، فإذا كان الفصل الأول قد بدأ من خلال الأذان عصرية أحد الأيام في القرية وتضمن عملية تطهر الكبار ووضوئهم في ماء النهر، تمهيداً للصلاة، فإن الفصل الثاني يبدأ الراوي بنفس الطريقة، حيث يصور القرية وقت صلاة المغرب، ولكن بدل الكبار، نجدنا في الفصل الثاني مع الصبية، خليل ورفاقه، وهم يستحمون في مياه النهر، يسبحون ويتوضئون استعداداً للصلاة، ثم يصلون، إننا تقريباً مع نفس الأحداث تمارس من أشخاص مختلفون، وترصد من عين الراوي لتعكس طبيعة المجتمع في القرية، كما تبرز طبيعة القيم التي يحتكمون إليها.

ثالثاً. سرد الأشياء المعروفة دالاً على تواتر فعل سابق

في المقطع التالي نجد التواتر يقدم من خلال سرد الأشياء المعروفة لدى الشخصية، حيث يصور لنا "الراوي/الشخصية" ثريد الجدة، من خلال معرفته بما تواتر من فعلها السابق، فهو أي (خليل) كما نرى في المقطع التالي، يدرك طبقات ومكونات ثريد الجدة، وكيفية القيام بإعداده، لنتابع المقطع التالي الذي بدأ في (أ) بمدخل حول الموضوع المقصود وهو الثريد ثم في (ب) نحن مع ما يدل على التواتر من الأفعال لنتابع ذلك:

"(أ) كانت رائحة اللحم تملأ خياشيمي، والأبخرة المتصاعدة الضبابية تلفني وتهيج شهيتي، أشتهي ثريد جدتي اللذيذ (ب) ذلك الذي تصنعه طبقات، طبقات، طبقة أولى، من الخبز تسقيه بحساء اللحم، ثم طبقة ثانية، من قطع اللحم الكبيرة المحمرة في السمن البلدي، ثم طبقة ثالثة من الأرز المعمر، وهكذا... وهكذا"¹⁰

وفي المقطع التالي نحن مع التواتر من خلال سرد ما تعرفه الشخصية عن أفعال الجدة: "(أ) كانت رائحة الشاي الذي يكررك في الكنكة النحاسية الصفراء اللامعة، (ب) تحرص جدتي على غسلها عند الضحى بالتراب الأحمر ذلك الذي يملأ فرن الخبيز"¹¹

في المقطع السابق نلاحظ كيف بدأ السرد في (أ) من خلال صورة تشتغل على الحواس (رائحة الشم) وتتحدث عن أشياء لها جذور في أعماق الأسرة المصرية والعربية وهي جلسة الشاي، ثم في (ب) ندخل مع قصة حرص الجدة على التنظيف وهو فعل مؤطر حيث حدد زمن ذلك الفعل وهو الضحى.

¹⁰ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:15.

¹¹ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:16.

رابعاً. حدث متواتر متكرر لزمن محدود:

في المقطع التالي نتابع على لسان الأم وهي تحكي لخليل عن زيارة موتى أسرتها لها في المنام: الجد والوالد والأخ في الليلة الماضية، هذا الحدث تكرر كما تحكي الأم في طول تلك الليلة لنتابعه في المقطع التالي:

"طول الليل امبارح، شايقة جدك، خالك، أبوك، واقفين هنا، قدام الشباك ده، لابسين أبيض في أبيض، بينادوا عليّ، أبوي بيمد إيداه ادن يأخذني معاه، بيقولي: كفاية كده يا بنتي، خلاص إنت عملتي اللي عليك وأكثر!

تبكي على صدرها، أقبل يديها، رأسها، أضمرها لصدري قائلاً: لا يا أمي لسه بدري قوي، إنتزي الفل!"¹²

خامساً. التواتري من الأفعال لزمن طويل.

نتابع هنا كيف كان خليل يزور الأم مدة طويلة، السرد لم يقدم لنا مباشرة بهذا الشكل، إنما ابتدأه الراوي في (أ) من خلال نهج الأسئلة في السرد وهو أسلوب لشد المروي له لما سيقبل من سرد، ثم وصف الموضوع بالسرد هو نفسه يضيف المزيد من التشويق، ثم تبدأ تفاصيل الفعل المتواتر وهو السفر لزيارة الأم في (ب) ثم نتابع في (ج) تفاصيل أفعال مصاحبة للزيارة اتخذت هي ذاتها البعد التواتري بحكم اندراجها تحت فعل الزيارة الأسبوعية لنتابع ذلك هنا:

"(أ) هل يمكنني أن أكشف أحد الأسرار الخفية التي تربط بيننا، (ب) ربما كان ذلك الذي يدفعني دفعا أن أسافر كل أسبوع كالعادة، (ج) أنزل سوق المدينة، اشتري اللحم والخضار، أشتري الكبدة التي تحبها.." ¹³

هذه الزيارة تتواتر بعد موتها أيضاً، خاصة بعد أن حكى لخليل، أخوه إبراهيم، عن منام رأى فيه الوالدة تملأ الماء للجيران بالطمبة، ورآها بعد دعوتها للصعود لأعلى حيث الدنيا حر، تتحول طائراً أخضر، هذه المقدمات كلها ستكون سبباً ليمارس خليل فعل الزيارة الأسبوعي لبيت الأم بعد وفاتها، الملاحظ أن هذا المقطع قد بدأ باللازمة المتكررة (في الضبابة الدمية، أفتح الشقة) لنتابع المقطع المتواتر الذي يرسم زيارة خليل المستمرة لبيت الأم:

"(أ) من يومها، (ب) أسافر كل أسبوع، (ج) أفتح الشببيك، بلكونة الشقة البحرية، أضع فيها الحب والماء حتى تأكل وتشرب كل الطيور، فتألف الشقة ولا ترحل مع الشمس.." ¹⁴

¹² خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 25.

¹³ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 32.

¹⁴ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 32.

بينما في المقطع التالي نتابع ما يشبه لسرد تيار الوعي حيث تنطلق ذات الشخصية من قصة الطائر الأخضر لترسم عالماً معاشاً غير واقعي يعبر عن لحظات متصورة، فهو هنا ينظر كل مساء للشمس محدثاً الأم وهي بكائية تتدرج ضمن سلسلة البكائيات الموجودة في هذا النص قدمت بطريقة سردية مميزة، فكانت فاعلة وحاضرة وكأنما يعيش المروري له اللحظة مع الراوي لنتابع المقطع لمذكور وهو مقطع يلي المقطع السابق مباشرة:

**كنت كل مساء ابص للشمس، للطيور المحلقة في رحلة العودة، أقول راجياً باكياً:
عودي يا أمي، لا ترحلي مرة أخرى!"¹⁵**

بينما هنا في مقطع تال يرسم زيارته المستمرة لبيت الأم بنفس أسلوب التواتر سردياً، مع توظيف مدخل تواتري آخر، لنتابع هنا كيف تتحول (النتيجة) أو الرزنامة أداة لرسم حركة الزمن ويصبح تكرار فعل متابعة التاريخ فيها أداة للسرد التواتري، كما نجد هنا إضافة أخرى وهي في مقطع تال للسابق فيه يحكي الراوي عن ما تواتر من فعله عند زيارة الأم سابقاً في استذكار لفعل تواتري:

"بالتأكيد، سوف يتمدد على السجادة الحمراء، بجوارها قليلاً وهي تهز رأسها ضاحكة..."¹⁶

- تواتر زيارة الجدة للمقبرة

تمضي الجدة أسبوعياً إلى المقبرة الحاوية لقبر الجد، حاملة الطعام والحلويات لشيوخ القراء وأهل المكان، الراوي يسرد حدثاً يبدو ظاهرياً مفرداً ولكن من الحين للآخر يقدم لنا ما يوضح الطبيعة المتواترة لهذا الحدث، هذا التواتر محدد بشكل أسبوعي، وأحياناً بشكل آخر لنتابع ذلك في المقطع التالي:

"(أ) طول الطريق كانت جدتي تحب في جلبابها الأسود الباهت بخطوات واسعة تأكل الطريق، تحمل (ب) ما جهزته طول ليلة الخميس (ج) ونشرته في غرفة الخبيز، حتى بات يتلألأ في ضوء القمر، (د) ذلك الذي كان يغالني من شيش الشباك المكسور(هـ) ومع أذان الفجر استيقظت (و) على كركبة الصباحات والمعارك المعتادة بين القطط والكلاب أمام الباب الكبير المغلق (ز) الذي نفتحه مع شروق الشمس، (ح) كنت ألهث خلفها، ممسكا بيدي اليسرى طرف جلبابها باليمنى أقبض على حقيبتي المدرسية، (ط) بطول الطريق تحكي عنهم (ك) وأنهم منذ البارحة ينتظرون (ل) هذه الزيارة الأسبوعية."¹⁷

¹⁵ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:34.

¹⁶ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:70.

¹⁷ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:35-36.

ينتقل الراوي في المقطع السابق بين السرد المتواتر وبين السرد العادي الذي غالباً ما يكون ضمن سرد التأطير، حيث نلاحظ في (أ) تواتر حدوث حدث (طول الطريق) وهي فترة محدودة والحدث بهذا الشكل يبدو غير متواتراً عدا هذه المرحلة الزمنية، ثم في (ب) نحال على عمل متواتر طول ليلة الخميس وهو التجهيز، كما نجد في (ج) انتقال من المتواتر لليلة الخميس على عمل محدد ثم في (د) نجد حدثاً يبدو ظاهره فريداً ولكنه متواتر، فالشباك مكسور من مدة وضوء القمر يدخل منه، ثم في (هـ) نجد حدثاً مؤطراً في زمن محدد وهو الاستيقاظ فجراً، ثم في (و) نجد المعارك المعتادة بين القطط والكلاب وهي أحداث متواترة، مع سرد تأطيري بحضور زمن تحقق الحدث (فجراً) وحضور مكانه (أمام البيت الكبير المغلق) ثم في (ز) نجد السرد التواتري حيث ضمن هذا المقطع يحكي لنا خليل عن كون الباب الكبير المغلق يفتح دائماً عند شروق الشمس، في (ح) يبدو الحدث بين التواتر وعدم التواتر، فهو ظاهرياً حدثاً غير متواتر، لكن ما توحى به الصورة أن هذا الفعل من الطفل تكرر حدوثه طيلة الطريق وهو بذلك متواتر، نجد التواتر من جديد مختلطاً بالتأطير حيث الجدة تمارس طول الطريق فعل الحكي، ثم نجد تواتراً آخر في (ط) حيث الجماعة منذ البارحة ينتظرون الزيارة، ويتبع هذا الفعل المتواتر فعل متواتر لمدى أكبر هو كون الزيارة الأسبوعية في (ل). سيستمر السرد التواتري عندما يحكي خليل ما تفعله الجدة في الزيارة من قراءة للقرآن وهو بلا شك فعل تواتري بحكم أن الإطار العام للفعل (الزيارة الأسبوعية) هو فعلاً متواتراً.

يستمر نفس الأسلوب في فعل الزيارة بين سرد حدث عادي ثم التأشير لكونه متكرر أو بلغة السرديات متواتر، لنتابع المقطع التالي حيث الجدة تكلم الحفيد خليل:

"- لا، لا خير ربنا كثير يعطيهم من نعمة ويأكلون من رزقه ولكن هذه الزيارة الأسبوعية، وجدك يحب أن يأكل من يدي، وكنت كلما أقترب من بيوتهم (...) تدلف هي في طريقها المعتاد، وتتمتم بقراءاتها، تبسمل وتحوقل، ثم تتلو ما تيسر لها"¹⁸

السرد كما نرى يبدو سرداً غير متواتر لكن تدخل تلك المؤشرات التي يتقن الراوي زرعها ليضعنا في الطبيعة المتواترة لهذه الأفعال مثل (زيارتنا الأسبوعية، وكنت كلما أقترب من بيوتهم، طريقها المعتاد) كما نجد أيضاً أسلوب النفي مع الاستثناء الذي يعكس تواتراً كما في المقطع التالي:

"تضع حملها المزين بالبشكير الكبير والذي لا يخرج من الدولاب المكسور إلا لهذه الزيارة"¹⁹ إي إن هذا الفعل وهو خروج البشكير متواتر في عدم حصوله إلا

¹⁸ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 36.

لغرض الزيارة، ومن الجماليات الأخرى هنا سرد التأطير حيث نجد مكان الخروج وهو الدولاب المكسور.

سادساً. التواتر عبر سرد الأشياء المؤكدة الدالة على فعل محفوظ متكرر في فصل درب الأحبة، بعد أن سرد الراوي علاقة خليل بأخته فوزية، تلاحظ أن علاقته بها قدمها من خلال سرد التواتر بعد أن صارت بعد الأم محطته الثانية: " (أ) فكر وهو يمشي كابياً صموتاً ناحية الجامع الكبير، أنه كان في حسابه – مثلاً – أن يخطف رجله، وهو في طريقه لأخته (فوزية) المحطة الثانية، أن يسير على هذا الدرب للزيارة، (ب) كما تعود في كل مرة يرجع فيها للقريبة، يقف هناك، بعض الوقت (...). (ج) فهي باتت المحطة الأولى للثرثرة مع رشقات كوب الشاي تحكي له عند الذي يجب أن يعرفه أو لا يعرفه"²⁰.

نلاحظ مما سبق المدخل الداعم لفرص السرد التواتري في (أ) ثم في (ب) نحن مباشرة مع السرد التواتري في أجلى صورته، ثم في (ج) نحن مع التواتري من جديد مؤكداً زمنياً بكلمة (باتت) التي تدل على التحول، وهو تحول من الزيارة المتواترة لمحطة الحوار والثرثرة عند الأم، إلى المحطة الجديدة وهي الأخت.

2.2 تقنيات السرعة المختلفة²¹

أنبنى سرد هذه الرواية منذ البداية على مشاهد محددة منتقاة، وهو ما يعني توظيف تقنية الحذف معها لغرض عدم الانتباه لأزمة فيها أحداث لا تهم الراوي، حيث ينتقي الراوي من المشاهد المختلفة ما يرسم الصورة الكلية المطلوبة لحياة أهل القرية عموماً وآل صالح خصوصاً، عزز الراوي فكرة توظيف المشاهد الذي يرتقي أحياناً ليكون سينمائياً من خلال تعبيرات ذات بعد سينمائي توضع عادة في بداية اللقطة السينمائية عند كتابة السيناريو مثل: (المشهد/لقطة قريبة/ زوم باك)، السرد يستمر مشهدياً حتى دخول أول تلخيص عندما تم سرد قصة مرض الجد وعجزه، وهو تلخيص لغرض جعل حركة الجدة في القرية منطقياً، وهي التي كانت موضوع الفصل الأول تقريباً.

¹⁹ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:37.

²⁰ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص:67.

²¹ نجد ضمن اشتغال جيرار جينيت للعلاقة بين زمن الخطاب (وهو الزمن الفعلي في الرواية المنجزة) وزمن الحكاية (وهو الزمن مرتباً خطياً) أربعة سرعات مختلفة، هي كما يلي: (المشهد، التلخيص، الحذف، الوقفة الوصفية).

المقطع: قسم (ج) ويتسمر قبل هذا وبعده المشهد مستمراً الذي يؤسس لوضع الجدة بعد أن تم تأسيس وضع القرية وفي التلخيص قدمت قصة الجد، ستجد بعد هذا أسلوب المشهد يقدم صورة الجدة وهي تقوم بعملها الليلي في الحراسة. التلخيص من جديد يقطع المشهد المستمر الذي صور شخصية الجدة القوية التي قامت بالقبض على "عبدالمك" الفلاح الغشيم الذي حاول منازعتها حقاً أسبغته عليها القرية أو اكتسبته بقوة شخصيتها لنتابع هذا المقطع هنا:

"في الصباح الباكر كانت الإشاعات تسري كالريح، يضرب الناس كفاً بكف وهم يمشون حكاية عبدالمك"²²

في الفصل الثاني أيضاً نجد فيه شخصية الجد ترسم من خلال سرد مشهدي وتقنية الحذف معها، المشهد هنا قد يكون فيه شيء قليل من الحوار، لكنه يعتمد غالباً على المشهد السردى بطيء الحركة، مع توظيف مستمر لتقنيات الترهين والتأطير، أستخدم الراوي أيضاً تقنية التلخيص مرة واحدة قصيرة ليحكي قصة ولادة ثلاثة أولاد للجد ثم موتهم، وهو ما يفسر.

تلخيص بلغة شعرية

في الفصل الخامس المعنون بالأخت بدأ الفصل بالتلخيص لكنه تلخيص مكتوب بلغة شعرية رسم من خلاله الراوي قصة الأخت صباح وانعكست بشكل غير مباشر عواطف الشخصية "خليل" نحوها. هذا التلخيص كان مصحوباً بالترهين السردى لنتابع المقطع فيما يلي:

"(أ) تروي صباح شجرتها نورة البيت، بخفتها، بحلاوة روحها، بتقاطع وجهها المضيء، يتمايل لبلاب ست الحسن بخضرتها الزاهية، (ب) وحين خرطها خراط البنات، تنافس عليها المتنافسين، فركبت قطار الزواج"²³.

بدأ الفصل في (أ) على تلخيص ضمني أي تلخيص ضمن لغة شعرية وصورة مميزة للأخت، ثم نجد الترهين متضمناً في ذلك التلخيص في (ب) ويستمر رصد حكاية "صباح".

- تقنيات التسريع والإبطاء الزمني مصحوبة بالتواتر

ليست هناك علاقة مباشرة بين السرد التواتري من جهة، وبين تقنيات التسريع والإبطاء المختلفة: المشهد، التلخيص، والحذف، والوصف، فالأول هو محور من محاور الاشتغال زمني لوحده، فالتلخيص يعني تقديم أحداث لها في زمن الحكاية زمن طويل في زمن خطاب أقصر، بينما الحذف هو إسقاط مرحلة زمنية من

²² خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 14.

²³ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 43.

مراحل الحكاية ضمن الزمن الروائي الفعلي في الرواية أو ما يعرف بزمن الخطاب، الراوي يستخدم التقنيات معاً، لتقديم أحداث مهمة، فهو هنا في المقطع التالي يقدم في البداية عبر التواتر موقفهم من مرض أمنية وما سببته لهم، أمنية هي الأثيرة عند الجدة وعمتها صباح التي تشبهها، هذا التواتر يتبعه سرد مشهدي قدم بين تواترين: " (أ) طوال أيام الإجازة السنوية، (ب) كنا نضحك على المفوضة التي (ج) جعلتني أسير بين عواء الكلاب المسعورة ... (د) تضحك صباح أختي حتى تميل طرحتها، يبين شعرها الأصفر الناعم الطويل، (هـ) قبل أن يصيبها المرض اللعين، (و) يساقط خصلة وراء خصلة. (ز) في السنة الثانية، (ح) أثناء الزيارة الموسمية، (ط) أتابع نمو العلاقات بين أمي وأمنية من ناحية وبين صباح من ناحية أخرى، اللحظات الدافئة الكثيرة التي تجمعهم، لاحظ تلك الخيوط الكثيرة التي تربط أمي وصباح بأمنية، أدرك أسباب هذا التعلق الزائد. (ي) في السنة الثالثة، (ك) عرف المرض طريق أمي، رحلت راضية، (ل) بعد خمسة شهور رحلت صباح، (م) بعد أن قاومت المرض اللعين، بصبر يعادل صبر أيوب"²⁴.

في المقطع السابق نلاحظ أن الراوي بدأ في (أ)، كما هي عادته غالباً، بالسرد التواتري مكوناً من فترة حدوث الفعل المتواتر، ثم تلاه ذكر الحدث الذي تواتر حدوثه في (ب) وهو كما نلاحظ فعل الضحك على ما سببته أبنته أمنية لهم، هذا الفعل تواتر فعله من قبل مجموعة هم العائلة كلها، ثم نجد في (ج) نجدنا مع مشهد مكون من سرد وصفي فيه اشتغال على الحواس، ثم نجد بعد هذا المشهد الذي يأخذ تقريباً نصف صفحة، ثم نجد صورة تخصيص الأخت صباح بالضحك في (د) ثم في (هـ) تحدث النقلة من متابعة صباح للضحك إلى المرض الذي أصابها وانتقل من ثيمة أمنية والضحك عليها، إلى ثيمة شعر صباح تمهيدا للدخول لما حدث لها، حيث في (و) نجد تواتر تساقط شعر صباح، وبين صباح وأمنية الراوي يضعنا في وسط تلك العلاقات العائلية الخاصة التي سيزيد المزيد من التفصيل في تطورها في المقاطع التالية، بينما من ناحية البعد السردى للسرعة سنجد الحذف في (ز) عبر إسقاط ما بين موسم الزيارة الحالي وموسم الزيارة التالي في السنة التالية وكذلك هناك حذف في (ي) عندما يتم الحديث عن السنة الثالثة، بينما نجدنا مع تخصيص (تأطير) يحمل في ثناياه البعد التواتري في (ح) حيث يتم إخبارنا عما يحدث في لزيارة الموسمية التي هي مؤطرة بزمن الزيارة ومتواترة في تلك الفترة باعتبارها موسمية، ثم نجد تلخيص عن تلك العلاقة الخاصة بين الأم والأخت صباح والابنة أمنية.

²⁴ خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، ص: 53.

نتابع ذات الدائرة تقريباً من الاشتغال حيث في (ي) هناك الحذف الذي سبق الحديث عنه ثم في (ك) نجد لتلخيص لما حدث للألم من مرض وموت، ثم في (ل) نجد التأطير الزمني مصحوباً بعده بتلخيص لما حدث للأخت صباح ثم يليه في (م) تواتر مقامة صباح للمرض بصبر يشابه صبر أيوب. في المقطع السابق لاحظنا كيف ربط الراوي بين الشخصيات ذا العلاقة عبر التلاعب الفني بالزمن منتقلاً من تواتر إلى مشهد ومن مشهد إلى تلخيص مؤطر مع توظيف الحذف أو الإسقاط الزمني لمرحلة من مراحل زمن الحكاية ليتحقق للراوي بناء تلك العلاقات الاجتماعية التي كانت هي الروح الخفية التي كان الراوي يستنهبها وهو يمارس كل هذه الألاعيب السردية.

3.2 جماليات الممارسة السردية في خطاب الرواية²⁵

نجد في رواية سيرة بني صالح ضمن نسيج التقنيات السردية المستخدمة تقنيتي الترهين والتأطير لنتابع هنا تقنية الترهين في بداية الرواية، حيث بدأت الرواية بالتأطير ثم تلاها الترهين ثم الصورة البصرية المتحركة لنتابعه هنا في هذا المقطع الذي تم الحديث عنه في جانب التواتر، المقطع (أ) التالي فيه تأطير عبر حضور رسم صورة للفضاء المكاني طبيعية تحمل في طياتها بعد زمني وهي حيلة مميزة لتصوير المكان وإحضار مكوني الزمان و المكان مع الحدث. وسنكتفي في التمثيل لتقنيات الممارسة السردية (التي أكثرها حضوراً هنا تقنية التأطير) ببعض النماذج من بداية الرواية.

"(أ) تنكسر وقدة الشمس تهب نسمة العصاري، تتمايل معها شواشي الشجر" بينما في المقطع التالي (ب) نجد ترهين من نوع حدث بحدث، حيث الحدث الأول هو أن يصير الظل طول الرجل، بينما الحدث الثاني صعود الشيخ حمزة السلام وكلاهما يعبراً بشكل يكاد يكون مباشر عن وقت العصر وأذان صلاة العصر.

"(ب) حين يصير الظل طول الرجل تماماً ساعتها يبدأ الشيخ حمزة في صعود درجات سلم الجامع الخشبية المتأكلة"

في المقطع (ج) نتابع الصورة البصرية المتحركة، هذه الصورة ترسم شخصية المؤذن وعملية الأذان، مع وصف خاص للشخصية، الراوي ينتقي عند وصفه لما يحدث مكونات خاصة هي جزء من جسم المؤذن أو مما يحيط بها وهي أيضاً في الوقت نفسه ادواته للقيام بعملية الأذان لنتابع المقطع السابق الوصفي الانتقائي

²⁵ تنقسم تقنيات الممارسة السردية لأربع تقنيات، اثنتين منهما ضمن بعد السرد وهما تقنيتي: الترهين والتأطير، بينما ضمن محور الوصف نجد تقنيتي: الاشتغال على الحواس والوصف المقارن.

وهو يمثل بأكمله مشهدا فيه صورة حواسية (على حاسة البصر) مع البعد الحركي ضمن الصورة.

(ج) تراه الآن يشرب برقيته الطويلة يضع طرف سبابة اليمنى في أذنه، وكف اليسرى على جانب فمه و أسفل أذنه ينادي بأذان العصر"

يضاف لما سبق بخصوص المقطع (ج) حضور شخصية الراوي محدثا المروري له قائلاً (تراه) بينما في (د) سنتابع المنتج الصوتي وقد تحول ضمن السرد التصويري إلى صورة حواسية سمعية النوع، ذات علاقة ببعد لمسي وإيحاء بصري ممكن، من خلال تجسيم الصوت عبر أوصاف (ناعم ممطوط) وهي أوصاف ذات بُعد لمسي، وإيحاء بصري بحكم حركتها في الفضاء لنتابع المقطع المذكور.

"(د) يتردد الصوت الناعم الممطوط في الفضاء الواسع ينادى على الصلاة".

في (هـ) نعود للتأطير من جديد من خلال رصد الراوي لصورة الشخصيات وموضعها تحت ذكر التوت، ورصد مع حضور الحدث وهو قيام المتعبين من النوم متكلمين أجمعين، حيث ينسحب الراوي ليترك لهم الفرصة للكلام:

(هـ) تنقلت الرجال النائمة تحت ذكر التوت، المتعبة من أذان الفجر بحصاد القمح: نعم، حاضر ياشيخ حمزة سمعنا والله!"

بينما نجدنا في (و) نتابع الصورة الجديدة للمجموعة عبر التأطير من خلال (دقائق) التي تحدد الزمن، بينما المكان معروف وهو تحت ذكر التوت، والشخصيات معروفة وهم الرجال، والحدث محدد في الجملة وهي ديبب العافية. أي أننا أمام سرد حرص روايته على إحضار مكونات الحكاية الأربعة المعروفة فيه وهذه المكونات كما يلي: (حدث، شخصية، زمان، مكان).

لنتابع المقطع (و) المذكور سابقا:

"(و) دقائق ترى العافية تدب في الأجساد المتعبة"

سيستخدم الراوي حيلته التي سبق أن استخدمها في المقاطع السابقة وهي محادثته المباشرة للمروري لهم بحميمية من خلال كلمة (ترى الواحد) لنتابع المقطع التالي:

(ز) ترى الواحد منهم، يقف، يطوح يديه في الهواء عاليا يهز رأسه يطرد الكسل، النعاس العالق بعينية ينظر يمناً ويسرة".

الأفعال التي تمت ممارستها في المقطع السابق نجد أيضاً فيها التعيين وربط الفعل بالفاعل وهو نوع من التأطير كما سبق ورأينا في المتتاليات التالية:

(ترى/الواحد - منهم)، (يطوح/يديه - في الهواء - عالياً) (يهز رأسه - يطرد الكسل) - (النعاس العالق بعينية) (ينظر/ يمناً - ويسرة).

نلاحظ من الشكل السابق المتعلقات من نوع: (ترى الواحد) وندرك ما سيره المَخَاطَبُ وهو الواحد ويتم تعيينه بمزيد التحديد من خلال (منهم) بنفس الطريقة تقريباً التأطير من خلال (يطوح يديه، يهز رأسه، يطرد الكسل، ينظر يمنة) كلها أفعال لها ارتباط بمفعول به، وهذه العلاقة تنتج نوعاً من التأطير بحكم العلاقة المعنوية قابلة للتشكيل كما يرتبط بالجملة المكونة من فاعل ومفعول به، في المكون (ترى الواحد)، وهو مكون تأطيري، يتم تخصيص (منهم) من الكل الممكن تصويره للواحد المذكور قبلها، كذلك نجد العلاقة التي ينتج عنها تصوير موضع تطويح اليد (في الهواء) من كل المواضع الممكن تصويرها بحيث يتحدد الموضع في الهواء، ثم نجد تحدد ظرف مكان (عالياً) لمزيد التحديد في المحدد سابقاً، كما نجد ارتباط مكونين بالتوازي في البداية بين يهز ويطرد معاً كما في المقطع التالي مع علاقة توازي داخلي بين المفعول به في الجملة الثانية، حيث يتوازي الكسل والنعاس في كونهما مطرودين، ونجد تخصيص النعاس بموضعه حيث هو عالماً بعينه:

(يهز/ رأسه) – (يطرد/ الكسل – النعاس/ العالق بعينه) .

عبر الارتباط المتوازي بين الأفعال والارتباط المتوازي بين المفعولات في الحالة الثانية، وكل ذلك ضمن التحديد الأولي السابق للشخص من خلال (الواحد منهم) سابقة الذكر، يتحقق ميزة إظهار هذا السرد المؤطر للأحداث والشخصيات التي يحكي الراوي عنها متماسكة ويحقق ذلك شداً خاصاً للمروي له وانتباهاً للحدث المروي. يستكمل باقي المقطع بمزيد سرد ما يخص ذلك الفرد، الذي سبق تخصيصه بالحديث عنه، من الجماعة كما يلي: **(ينظر/ يمنة- ويسرة)** حيث نجد بعد الفعل ينظر الذي فاعله (هو) اتجاه النظر عبر ظرف المكان يمين أولاً، ويتوازي مع هذه الظرف الزماني المحدد لإطار حدوث الفعل، ظرف زماني آخر هو يسرة وهما كليهما مرتبطان بعلاقة التقابل الدلالية. يتسمر الراوي في المقطع التالي بنفس الأسلوب مع التوقف قليلاً لنتابع من خلال الرؤية كيف بأر الراوي وعي الشخصية وهو جزء من الوعي المعني الكلي للقريبة في المقطع التالي:

"(ح) الطريق يبدو خالياً من البنات والنساء (ط) يطمئن
فالشخصية المعينة سابقاً من الجماعة والتي تمارس عملاً يفترض أن يقوم به أي واحد منهم ويعكس الراوي بذلك الفعل الفردي للشخص المحدد قيم الجماعة، لنتابع هنا وقد سرد الراوي لنا الصورة البصرية بنفس الطريقة السابق حيث في (ي) يتم تحديد موضع جلوسه من خلال (على) التي سيتم تحديدها أكثر من خلال حافة وهي مضاف للترعة إذ أنها ليست إي حافة.

"(ي) يجلس على حافة الترعة".

في (ك) نلاحظ عودة بنية التوازي بين جملتين مع وجود بنية التحديد من خلال قميصه، الملبوس، والتحديد من خلال المعروق وعلى اللحم، لنتابع ذلك هنا:

"(ك) يسحب/ (قميصه المعروق - الملبوس/ على اللحم)"

ويستمر التأطير (غالباً) في المقطع التالي، وهو في عمومه صورة بصرية متحركة لما يقوم به أهل القرية من استعداد لصلاة العصر:

"(ل) يقفز سريعاً في الماء يكتم أنفاسه يغوص في المياه العميقة يجذف بذراعه يسبح يضرب الماء بكلتا يديه ينظر إلى ذكر التوت والمصلية التي تبتعد شيئاً فشيئاً يغطس في الماء سابحاً مرة أخرى في اتجاه المصلية يضرب الماء بيديه ورجليه يضرب الكسل والوخم يجدد عافيته ينشط يديه يستعيد قوته".

سنجد أن السرد التأطيري هي التقنية الأثيرة في هذا الفصل الأول حيث نتابع المزيد من تلك الاشتغالات الحواسية البصرية لأحداث متحركة غير ثابتة مع سرد تأطيري لنتابع هنا صورة خروج الجدة المعتاد وهو مقطع تمّ معالجته في جانب السرد التواتري وأيضاً هنا في جانب التأطير نجد فيه ما يمكن قوله لنتابع تقطيع المقطع السابق بنفس النظام السابق:

"(أ) تخرج (ب) تضرب/ الأرض/ بقدميها".

نلاحظ في (أ) فعل خرج وهنا الحدث واضح وهو الخروج والفاعل (الشخصية) هي الجدة، بينما في (ب) نجد فعلاً آخرأ تقوم به الجدة أيضاً فهي تضرب الأرض وبذلك تم تحديد الحدث والشخصية والأرض مفعول لهذه الجملة، تمّ يتم تخصيص المزيد من جسم فاعل الفعل السابق وهو (قدميها).

"تزيح/ ما يعترضها / من حجارة - وأشواك/ بالنبوت / المشمشي

(يجرى أمامها / عنتر) - (بجرمه الهائل / وذيله الطويل)

وكانه يفتح لها الطريق ويوسع السكة (ب) تبدأ رحلة المرور المسائية تتفقد الزراعات ومرابط البهايم تهز رأسها تطمئن الجميع، كل شيء في أمان حتى الصباح..."

كما نلاحظ مما سبق تقدم كل الأحداث مصحوبة بتأطير وأحياناً يكون التأطير مزوجاً بسرد تواتري.

4.2 خلاصة عن تقنيات السرد الزمنية وتقنيات الممارسة السردية

تميزت الرواية كما أسلفنا بعديد التقنيات السردية التي جاءت مجتمعة لتعويض اعتماد الراوي على السيرة العائلية في كتابة هذه الرواية، فحققت عديد التقنيات السردية متضافرة نصاً مميزاً، ولعل من أهم هذه التقنيات كانت على مستوى الاشتغال الزمني حيث وظف الراوي كما تابعنا تقنيات السرد التواتري التي جعلت

من الأحداث العائلية العادية تبدو مختلفة مميزة مشبعة بدراما وتوتر عالي، وذلك عبر توظيف التواتري مصحوباً بتقنيات سردية أخرى منها الترهين والاشتغال على الحواس بالإضافة لتقنية التأطير التي كانت حاضرة بقوة ضمن اشتغال راوي هذه الرواية المميز. التواتري من السرد كان يقدم من خلال وعي الراوي العارف بما أعتيد فعله في القرية من أحداث يومية، كما يحضر أحياناً في صورة تبرز قوة الشخصيات أو خصيصة من خصائصها، وكان لوعي الراوي بالترتيبات المعتادة دوراً مميزاً في تسهيل إياد هذه التواترات وجعلها منطقية ومقبولة وفاعلة، حيث يحدثنا عما أعتيد فعله وعما أعتيد قوله كله في إطار خدمة الغرض السرد العام للرواية الحديثة وهي أن تتم ربط المروي له بالسرد وجعله مشدوداً للأحداث، كما نجد من السرد التواتري ما يغطي زمن محدود ليلة أو أقل أو أكثر وهو كله لنفس الغرض الفني وهو رفع النسق الدرامي للأحداث، كما نجد التواتري من خلال لازمة تتكرر أو جملة تدل على حدث ما مثل جملة (الضبابة الدمعية) التي كانت دالة على اليكاء المستمر على الأحبة الذي هو جزء من ديدن راوي هذه الرواية، تواتر أفعال محددة مربوطة بشخصيات محددة كان أداة الراوي لتقديم هذه الشخصيات وأسطرة ما تقوم به، ولعل البنية الأكثر ظهوراً ضمن هذا هي بنية الوفاء من الحي للميت، حيث تواتر حضور الشخصية لبيت الأسرة بعد بيت الأم وتواتر ذهاب الأم كما كان البعد التواتري ذاته أداة للسرد عبر التفكير فيما تواتر فعله سابقاً من زيارات للأقارب في القرية وغيرها من الأحداث، كما أستخدم الراوي مع تقنيات التواتر السردية، تقنيات التسريع والإبطاء التي كانت تخدم الحالة السردية المطلوبة كما وظف بكثرة الحذف والانتقاء لأحداث بعينها وذلك للمحافظة على البعد الجمالي للسرد، كما وظف الوصف التصويري أو بناء المشاهد المصحوب غالباً بتقنية من التقنيات السردية التواترية أو غيرها، كما كانت تقنية التأطير الأكثر حضوراً من تقنيات الممارسة سردية بالإضافة لحضور الاشتغال على الحواس وكذلك حضور تقنية الترهين. كل ما سبق من التقنيات كان معه بناء مميز للأحداث وحسن إبراز للشخصيات عبر بنية الصراع الأمر الذي جعل من خطاب هذه الرواية متجاوزاً للسائد والمعتاد وموفقاً إلى حد كبير في تقديم سرد مصحوب بشحنات عاطفية مصاحبة مع التغلب على معادلة كتابة رواية اعتماداً على سيرة عائلية.

المراجع:

- جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ت. محمد معتصم وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994
- خليل الجيزاوي، سيرة بني صالح، مؤسسة سندباد للنشر والإعلام، القاهرة، ط.1، 2011
- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.2، 1993
- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.2، 2001
- عبد الحكيم المالكي، أفاق جديدة في الرواية العربية، دائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة، ط.1، 2006
- عبد الحكيم المالكي، استنطاق النص الروائي، دائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة، ط.1، 2008
- عبد الحكيم المالكي، السرديات والسرد الليبي، المجلد الأول من سلسلة الدراسات السردية، الكتاب الأول، جامعة مصراتة، ط.1، 2013



